محمد عطية الابراشي

المكتبة الزرقاء للأطفال



ملتزمة الطبع والنشر
مكتبة مصر
٣ شارع كامل صدقي - الفجالة

المكتبة الزرقاء للأطفال

طِفلٌ بَينَ السِّبَاع

بقلم

محمد عطية الابراشي

المجموعة الثانية

الناشر

مكتبة مصر

٣ شارع كامل صدقي - الفجالة

بسم الله الرحمن الرحيم

طِفــلٌ بَينَ السِّبَــاعِ

كَانَ أَحَدُ الأَغنِياءِ مُحِبًّا لِلصَّيدِ . وَفى سَنَةٍ مِـن السِّـنينَ سَافَرَ إِلَى لُبنانَ ، وَخَرَجَ ذَاتَ يومٍ لِيَصيدَ فى جَبَلِ لُبنانَ ، وَمَرَّ بغابَةٍ مِن الغاباتِ لِيَصْطَادَ بَعـضَ الحَيَوانـاتِ ، فَـرَأى مَنظراً غَرِيبًا مُدهِشًا ، وَشـاهَدَ مَخلوقًـا غريبًـا فـى عَريـنِ (بيـتِ) السَّبُعِ ، شَـكلُهُ كَشَكلِ طِفـلٍ عُمـرُهُ خَمـسُ سَنواتٍ ، وَلكِنَّهُ يَمشِى عَلَى يَدَيـهِ وَرِجلَيـهِ كَمَـا تَمشِـى الحَيوانَاتُ . فوَقَفَ الغَنِىُّ خَلفَ شَـجَرَةٍ كَبيَرةٍ ، وَأَخفَـى نَفسَـه ، وَأَخَـذَ يَلحَـظُ حَرَكاتِـهِ ، وَيَنْظُـر إِلَيـهِ ؛ لِيَعـرِفَ حَالَه ، فَرَآه يَلعَبُ مَعَ أَشبَالِ (أَولادِ) الأَسَدِ ، وَيَتَحَـرَّكُ بَينَهُـم ، كَمَـا تَتَحَـرَّكُ الأَشبَالُ ، وَيَفْعَـلُ كَمَـا تَفعَـلُ ،

وَيَسيرُ كَمَا تَسيرُ ؛ كَأَنَّهُ واحِدٌ مِنهُمْ ، فِي حَرَكاتِهِ وَسَكَناتِهِ وأَفعَالِهِ .

وَجَدَ الغَنِيُّ الصَّيَّادُ الأَسَدَ غَائبًا عَن عَرينهِ وَمَأواهُ ، فَانتَهَزَ الفُرصَةَ ، وَذَهَبَ إِلَى المَخلوقِ الصَّغيرِ الغَريبِ ، وَحَمَلَهُ بَينَ يَدَيهِ ، ثم رَكِبَ حِصَانَه مُسرِعًا ، وَأَخَذَهُ مَعَهُ ، وَاستَمَرَّ يَجرى بِهِ حَتَّى وَصَلَ إِلَى مَكَان بَعيدٍ مَأمون . نَظَرَ الغَنِيُّ إِلَيهِ ، وَأَخَذَ يَفحَصُ عَنهُ ، فَوجَدَهُ طِفلاً مِن بَنِي الإِنسَان ، جسمُهُ كَجسِمِ طِفلٍ ، وَأَعضَاؤُهُ وَتَركيبُهُ وَصُورَتُهُ وَشَكْلُهُ وَمَنظَرُهُ كَطِفلٍ تَمامًا ، وَلا يَختَلِفُ عَنْهُ إلاَّ فى شَيءٍ واحِدٍ ، وَهُوَ مَشيُهُ عَلَى أَربَعِ أَرجُلٍ كَالحَيَوانَاتِ .

وَقَد تَأَكَّدَ الصَّيَّادُ أَنَّ مَشيَهُ عَلَى يَديهِ وَرِجلَيهِ قَد جَاءَ مِن مُحاكَاتِهِ (تَقليدِهِ) لِلأَشبالِ وَالسِّبَاعِ الصَّغيرَةِ الَّتى كَانَ يَعيشُ مَعَهَا ، وَيَختَلِطُ بِهَا ، وَأَنَّ مِنَ المُمكِنِ أَن



طِفْلٌ يَعيشُ بينَ السّباعِ

يَرجِعَ إِلَى حَالَتِهِ الطَّبيعيَّةِ الأُولَى إذَا عَاشَ مَعَ أَطفَالٍ صِغَارٍ مِن بَنِى الإنسَانِ .

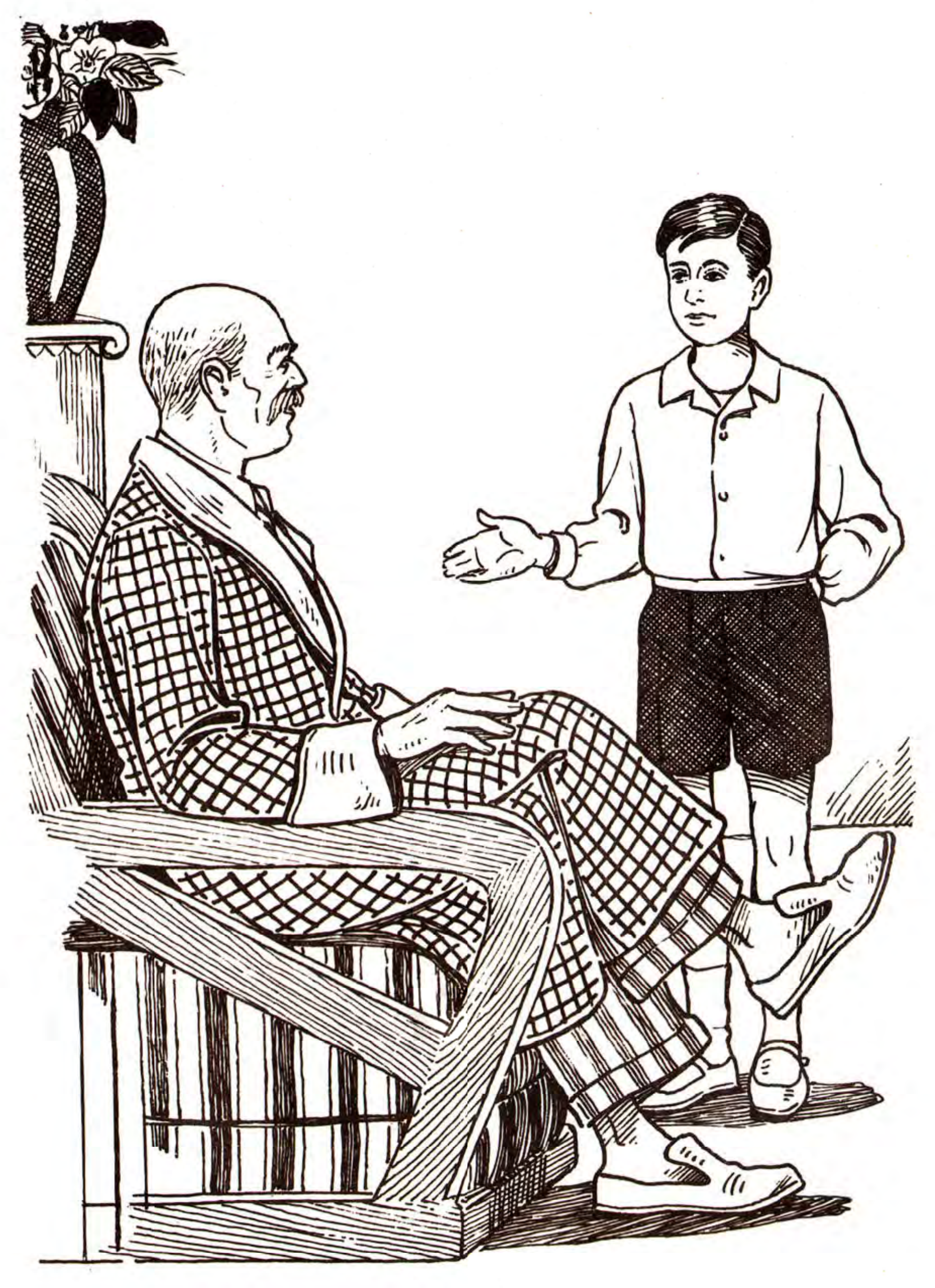
أَخَذَ الصَّيادُ يَتكَلَّمُ مَعَهُ ، وَلكِنَّهُ لم يَسمَعْ مِنْهُ إلاَّ أَصْوَاتًا مِثلَ أَصواتِ الحَيَوانِ ، لا معَنَى لَهَا بَينَ الأَطفالِ ، وَصمَّمَ عَلَى تَربيَتِهِ ، والعِنَايةِ بهِ ، والاهْتِمَامِ بأَمرِهِ ــ بَعدَ أَنْ وَثِقَ كُلَّ الثِّقَةِ أَنَّهُ طِفلٌ مِنَ الأَطفَالِ ، وَأَنَّهُ لَيسَ مِنَ الحَيَواناتِ ذَاتِ الأَربَعِ وَلكِنَّهُ دَخِيلٌ عَلَيهَا ، غَرِيبٌ عَنهَا . وَسَمَّاهُ : أَحَمد عِصمَت . وَقَد عَيَّنَ لَهُ الصَّيادُ الغَنِىُّ مُرَبِّيًا ، يُعنَى بهِ وَيُعَلِّمُهُ وَيُرَبِّيهِ كِما يُرَبَّى الأَطفَالُ . رَأَى المخلوقُ الغَرِيبُ الأَطفَالَ حَولَهُ وَهُم يَمشُونَ عَلَى رِجلَينِ . وَرَآهُم وَهُم يَأْكُلونَ وَيَشرَبونَ ، فَبَعْدَ مُدَّةٍ مِنَ الأَيامِ وَقَفَ مُعتَدِلاً ، وَاستَطاعَ أن يَمشِىَ عَلى رِجْلَيْهِ كَالأَطفَالِ ، وَيَأكُلَ كَمَا يَأكُلونَ ، وَيَشرَبَ كَما يَشرَبونَ وَيَلبَسَ كَمَا يَلبَسونَ . وَبَدأَ يُقَلِّدُهُم فى عَادَاتِهِم وَلُغَتِهِم وَكَلامِهِم ، وَحَرَكَاتِهِم وَسَكَنَاتِهِم ، وَأَخَذَ

بالتَّدريجِ يَتَكَلَّمُ كَمَا يَتكَلَّمُ الأَطفَالُ حينما يَبتَدِئونَ فى الكَلاَمِ والحَديثِ ، حَتَّى أَمكَنَهُ فيما بَعدُ أَن يَتحَدَّث كَمَا يَتحَدَّثونَ ، وَيَنطِقَ كَمَا يَنطِقونَ ، وَيَفهَمَ كَمَا يَفهَمونَ ، بَعدَ أَن كَانَ لاَ يعرِفُ كَلِمَةً واحِدَةً . وَبَدَأَ يَسأَلُ كَمَا يَسأَلُ الأَطفالُ ، وَيُجيبُ كَمَا يُجيبونَ ، وَيَفعَلُ كَمَا يَفعَلونَ ، وَيُحِسُّ بِمَا يُحِسُّونَ ، وَيَشعُرُ بِمَا يَشعُرونَ ، وَيَرغَبُ فِيمَا يَرغَبونَ . وَصَارَ كَالطِّفلِ العَادىِّ قَادِراً عَلَى التَكَلُّمِ وَالفَهمِ . وَالسُّؤالِ وَالجَوابِ باللُّغَةِ العَرَبِيَّةِ .

اِتَّخَذَ الصَّيَادُ الغَنِىُّ .. أَحمَدَ عِصمَت كَأَنَّهُ ابنٌ لَهُ ، وَعامَلَهُ كَمَا يُعامَلُ الأَبناءُ ، وَأَحْضَرَ لَهُ مُدَرِّسِينَ لِيُعَلِّموهُ القِرَاءَةَ والكِتَابةَ وَالمَوَادَّ العِلمِيَّةَ والأَدَبيَّةَ وَالعَمَلِيَّةَ ، حَتَّى أَتَمَّ دِرَاسَتَهُ الاِبتِدَائِيَّةَ ، وَأَظهَرَ تَقَدُّمًا مُحَسًّا ، وَنَجاحًا باهِرًا فى دُروسِهِ . فَأُدخِلَ إحدَى المَدَارِسِ الثانَوِيَّةِ ، فَأَظهَرَ رَغبَةً كَبيرَةً فى التَّعَلُّمِ ، واستِعدَادًا لِلبَحثِ وَالقَراءَةِ

والفَهمِ ، وَظَهَرَتْ عَلَيهِ عَلامَاتُ الذَّكَاءِ ، وَكَانَ مِنَ الأَوائِلِ فى فِرقَتِهِ الدِّراسِيَّة . وَاستَمَرَّ عِصمَتُ يَدرُسُ وَيَتَعَلَّمُ حَتَّى أَتَمَ التَّعليمَ الثَّانَوِىَّ ، وَحَصَلَ عَلَى (البَكَالوريَا) بامتِيازٍ ، وَكَانَ مَجمُوعُ دَرَجَاتِهِ ٩٠ فى المِائَةِ .

كَانَ عِصمَتُ يَميلُ إِلَى الطِّبِّ ، فَألحَقَهُ الصَّيَّادُ الغَنِىُّ بمَدرَسَةِ الطِّبِّ ، فَأَظهَرَ تَقَدُّمًا عَظيمًا ، وَنُبوغًا كَبيرًا فى دِراسَتِهِ ، وَفَاقَ زُمَلاءَهُ ، وَاستَمَرَّ يَدرُسُ حَتَّى نَالَ (البَكالوريوسَ) فى الطِّبِّ وَالجِرَاحَةِ ، ثُم تَخَصَّصَ فى الطِّبّ ، وَأُرسِلَ إِلَى أَلمانيَا لِيُكَمِّلَ دِرَاسَتَهُ . فَسَافَرَ وَدَرَسَ وَتَخَصَّصَ وَحَصَلَ عَلَى أَكْبَرِ الشَّهادَاتِ ثُمَّ رَجَعَ إِلَى القَاهِرَةِ ، وَفَتَحَ لَهُ عِيَادَةً فِى أَكْبَرِ المَيَادِينِ بالعاصِمَةِ . وَصَارَ طَبيبًا مِن كِبَارِ الأَطِبَّاءِ ، وَأَقبَلَ عَلَيه المَرضَى مِن كُلِّ جِهَةٍ ، وَاشتَهَرَ بالمَهَارَةِ فى تَشخيصِ الأَمراضِ وَعِلاجِها ، وَعُرِفَ بِالدِّقَّةِ وَالأَمانَةِ والإِخلاصِ فى عَمَلِه ،



حصلَ الطفلُ على الشهادةِ الابتدائيةِ

وَالعَطفِ عَلَى الفُقَراءِ ، وعِلاجِهِم بالمَجَّانِ ، وَشِراءِ الأَدويَةِ لَهُم ، وَبَعدَ وَقتٍ قَصيرٍ صَارَ مِن الأَطِبَّاءِ المَعروفينَ ، وَتَحَدَّثَ الكُلُّ باسمِهِ ، وأُعجبَ الجَميعُ بِهِ ، وَأَصبَحَ غَنِيًّا بعِلمِهِ وَخُلُقِهِ وَاسمِهِ .

وَكانَ لِلغَنِيِّ الَّذى رَبَّاهُ بنتٌ وَاحِدَةٌ تُسَمَّى حَسْنَاءَ ، وَكانَتْ مُتَعَلِّمَةً مُهَذَّبَةً ، نَبيلَةَ الخُلُقِ ، رَقيقَةَ الإِحسَاسِ ، فائِقَةَ الذَّكاءِ ، وَلكِنَّها لَم تَكُنْ جَميلَةَ الصُّورَةِ .

أَرادَ الطَّبيبُ أَن يَرُدَّ الجَميلَ إِلَى الغَنِيِّ الَّذى رَبَّاهُ ، فَخَطَبَ ابنَتَهُ حَسناءَ ، فَقَبِلَهُ زَوجًا لابنَتِهِ ، وَرَضِيَت بِهِ الابنَةُ زَوجًا لَها ، لإِعجابِها بِعِلمِهِ وَخُلُقِه ، وَنُبوغِهِ ، وَلَم تُفَكِّرْ فى أَصلِهِ وَأُسرَتِهِ ، وَلَم تُعارِضْ أُمُّها فى هذا الزَّواجِ ؛ فَقَد كانَ عِصمَتُ فى نَظَرِها وَقَلبِها كَأَنَّهُ ابنٌ لَها .

أُعلِنَت الخِطبَةُ ، وَأُعِدَّتْ وَسَائِلُ الزَّواجِ ، وَعَمَّ الفَرَحُ والسُّرورُ بَينَ الأَقارِبِ وَالأَصدِقاءِ وَالمُحِبِّينَ ، وَاختارَ

العَروسَان لَهُما بَيتًا لَـهُ حَديقَـةٌ كَبـيرَةٌ بِشـارِع الأَهـرَامِ ، وعَاشَ الزَّوجان عِيشَةً سَعيدَةً هانِئةً .

وَقَد حَدَثَ أَن كَانَ بِجـوارِ بَيتهِمَـا بَيـتٌ لأَحَـدِ كِبـارِ الأَغنِيَاءِ ، يُسَمَّى عُثمانَ (باشا) ، فَتَزَاوَرَت الأُسـرَتان ، وَتَبادَلَتا الزِّيَارَةَ ، وَأُعجبَت كِلتاهُمَا بالأُخرَى . وَاشتَدَّت الصِّلَةُ بَينَ أُسرَةِ الطَّبيبِ وَأُسرَةِ عُثمانَ (باشا) ؛ وَزَادَت العَلاَقَةُ وَالَمحَبَّةُ وَالَمودَّةُ بَينَهمُا ، بِدافِعٍ قَلبىٍّ بَـينَ كُـلٍّ مِـن الطَّبيبِ وَ(الباشا) .

وفى لَيلَةٍ مِن اللَّيالِى أَخَذَ الطَّبيبُ يَذكـرُ حَياتَـهُ الأُولَـى وَماضِيَـهُ لِصَديقِـهِ وَجـارِهِ الُمحِـبِّ لَـهُ عُثمـانُ (باشـا) ، فَارتَعَدَ (الباشـا) وَاضطَـرَبَ ، وَظهَـرَت عَلَيـهِ عَلامـاتُ التَّأَثُّرِ وَالاِضطِرابِ ، فَأَعطَـاهُ الطَّبيـبُ مُنَبِّهًـا ، وَلَـم يَعلَـمْ سَبَبًا لِتَأَثُّرِهِ وَاضطِرابِهِ . ثُمَّ أَفَـاقَ (الباشـا) ، وَرَجـاهُ أَن يُكَمِّلَ قِصَّةَ حَيَاتِهِ بالتَّفصيلِ . فَاستَمَرَّ الطَّبيبُ فى قِصَّتِهِ ، وَذَكَرَ لَهُ كَيفَ كَانَ وَهُوَ بِلبنـانَ ، وَكَيـفَ أَخَـذَهُ الغَنِـىُّ

مَعَهُ ، وَكَيفَ عُنِىَ بتربيَتِهِ حَتَّى صَارَ طَبيبًا مَعروفًا ، وَكَيفَ تَزَوَّجَ ابنَةَ الغَنِىِّ ، وَكَيفَ أَنَّ الطَّبيبَ لا يَعرِفُ لَهُ أَبًا أَو أُمًّا ، أَو أُسرَةً .

كَانَ (الباشا) شَديدَ الاِضطِرابِ ، فَقَامَ وَضَمَّ الطَّبيبَ إِلَى صَدرِهِ بِعُنفٍ ، وَصَاحَ وَهُوَ يَبكى مِن شِدَّةِ الفَرَحِ :

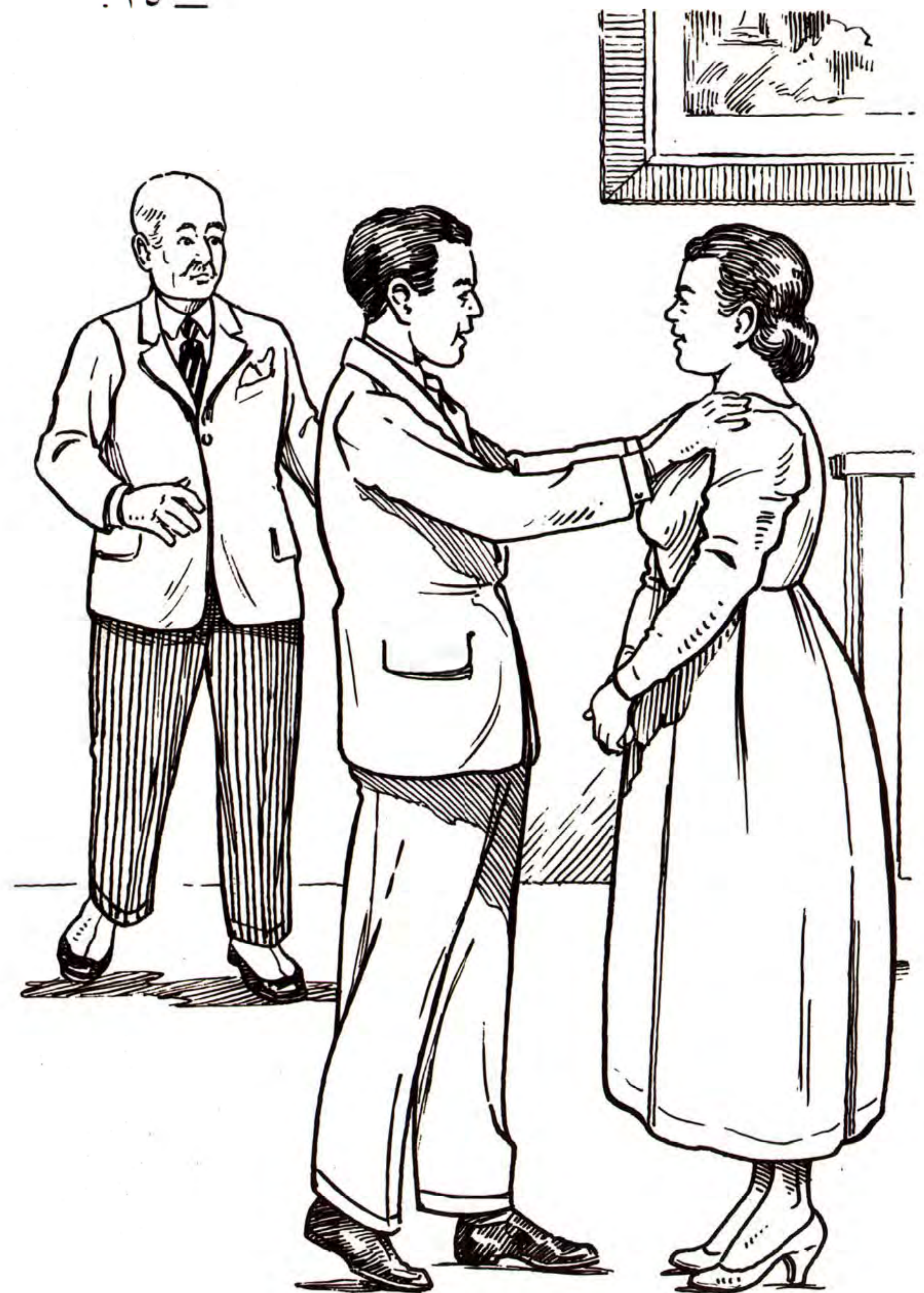
ـ أَنتَ اِبنِى ، وَفِلذَةُ كَبِدِى ، وَقِطعَةٌ مِن نَفسِى ، وَقَد أَعَادَكَ اللَّهُ إِلَىَّ ، بَعدَ أَن تَعِبتُ مِنَ البَحثِ عَنكَ ، تِلكَ السَّنَواتِ الطَّويلَةَ ، وَفى النِّهايَةِ يَئِستُ . لَم يُصَدِّق الطَّبيبُ هذَا القَولَ ، وَعجبَ كُلَّ العَجَبِ ، وَظَنَّ أَنَّ (الباشا) قَد جُنَّ . فَهَدَّأَ (الباشا) الطَّبيبَ الحَائِرَ ، وَقَالَ لَه : ثِقْ يا بُنَىَّ أَنَّكَ ابنى ، وَلاتَشُكَّ فِيمَا أَقولُ ؛ فَأَنتَ ابنِى ، وَأَنَا أَبوكَ . وَمُنذُ خَمسٍ وَعِشرينَ سَنَةً كُنَّا نَقضِى الصَّيفَ فى لُبنانَ ، وَكُنتَ طِفلاً صَغيرًا فى السَّنَةِ الأُولَى مِن حَيَاتِكَ . وَكُنتَ لاتَزالُ تَرضَعُ أُمَّكَ . ثُمَّ ضِعتَ مِنَّا فى الصَّحراءِ بِلُبنانَ . وَبَحَثنا عَنكَ كَثيرًا فى

كُلِّ جِهَةٍ ، فَلَم نَجِدْ لَكَ أَثَرًا . وَحينَما سَكَنْتَ بِجوارِنا ، وَرَأَيتُكَ أَحسَستُ بِمَيلٍ قَلبِيٍّ نَحوَكَ ، وَلَمَّا تَبادَلْنا الزِّيارَةَ زادَ حُبِّي لَكَ ، وَتَعَلُّقِي بِكَ . وَأَنتَ تَرَى أَنَّ أَصدِقاءَنا ـ الَّذينَ يَزورُونَنا ـ كَثيرونَ ، وَلكِنِّي لَم أُحِبَّ أَحَداً مِنهُم حُبِّي لَكَ . وَكُنتُ أَجِدُ سُرورًا كَثيرًا فِي التَّحَدُّثِ مَعَكَ ، وَالاِستِماعِ إِلَيكَ . وَإِنَّنِي يا بُنَيَّ كُنتُ أُحِسُّ بِمَا يُحِسُّ بِهِ الآباءُ نَحوَ أَبنائِهِم مِنَ الحُبِّ كُلَّمَا رَأَيتُكَ بِعَينَيَّ ، أَو وَقَعَ نَظَرِي عَلَيكَ . وَكُنتُ لا أَستَطيعُ تَفسيرَ هذَا الشُّعورِ الغَريبِ . وَإِنَّ عِندَنا صُوَرًا كَثيرَةً لَكَ ، أُخِذَت فِي مُناسَباتٍ كَثيرَةٍ فِي العَشَرَةِ الأَشهُرِ الأُولَى مِن حَياتِكَ . اُنظُرْ إِلَيها وَفَكِّرْ فِي ماضِيكَ يَومَ أَن كُنتَ طِفلاً ، وَتَذَكَّرْ تِلكَ الطُّفولَةَ ، إِن كُنتَ تَستَطيعُ أَن تَتَذَكَّرَ . وَسَتَجِدُ فِي تِلكَ الصُّوَرِ الجَوابَ الأَخيرَ ، سَتَجِدُ نَفسَكَ فِيها .

وَفِي تِلكَ اللَّحظَةِ نَظَرا فَوَجَدا بابَ الحُجرَةِ يُفتَحُ ، وَرَأَيا زَوْجَةَ عُثمانَ (باشا) ـ وَهِيَ أُمُّ الطَّبيبِ ـ تَدخُلُ

الحُجرَةَ ، وَقَد سَمِعَتْ كُلَّ القِصَّةِ حِينما كَانَت فى الحُجرَةِ المُجاوِرَةِ لِهذِه الحُجَرةِ . ثمَّ نَظَرَت إِلَى وَجه الطَّبيبِ ، وَأَخَذَتْ تُقارِنُ بَينَهُ وَبَينَ الصُّورَةِ الَّتى أَحضَرَتْها فى يَدِهَا ، فَوَجَدَت الوَجهَ وَاحِدًا ، وَالمَلامِحَ واحِدَةً ، ثُمَّ صَاحَت : اِبنِى ! وَرُوحى ! وَفِلذَةَ (قِطعَة مِن) كَبدى ! وَأَخَذت تَبْكى بُكاءً شَدِيدًا وَهِىَ تُعانِقُ ابنَها الطَّبيبَ . وَأَحَسَّ الاِبنُ بما أَحَسَّ بهِ أَبوهُ ، وَشَعَرَ بِمَا شَعَرَتْ بهِ أُمُّهُ ، وَظَهَرت عاطِفَةُ البُنُوَّةِ وعاطِفَةُ الأُبُوَّةِ واضِحَةً بَينَ الأَبَوَينِ وَالاِبنِ ، وَأَخَذَ الجَميعُ يَبكونَ مِن شِدَّةِ الفَرَحِ ، لِلِّقاءِ بَعدَ طولِ الفِراقِ ، وَاستَمَرَّ الأَبَوان يُقَبِّلانِ ابنَهُمَا ، والاِبنُ يُقَبِّلُ والِدَيهِ ، وَالكُلُّ فى عَجَبٍ وَدَهشَةٍ وَاستِغرابٍ .

وَشَكَرَ الأَبَوان لِلَّهِ ما أَنعَم بِهِ عَلَيهما ، مِن رَدِّ ابنِهما إِلَيهما . وَشَكَرَ الاِبنُ لِلَّهِ أَن رَدَّهُ إِلَى أَهلِهِ ، وَعَرَفَ أُسرَتَهُ وَعَرَفَتهُ . وَقَد عَرَفَت حَسناءُ زَوجُ الطَّبيبِ الأَمرَ ،



صار الطِّفلُ طبيبًا وهو بين أُمِّه وأَبيه

فَشَارَكَت الأُسرَةَ فى فَرَحِهــا وَسُـرورِها ، وَانتشَـرَ الخَبَرُ بَينَ الأَهْلِ وَالأَصدِقاءِ ، وَهَنَّـأَ الجَميعُ عَثمـانَ (بَاشَـا) . وَعَـمَّ (انتَشَـر) الابتِهـاجُ وَالفَـرَحُ . وَشَـكَرت أُسـرَةُ الطَّبيبِ لِلصَّيادِ الغَنِىِّ عِنَايَتَهُ بتَربيَـةِ ابنِهـا . وَسُبحانَ مَـن يَجمَـعُ الأَحبـابَ بَعـدَ طـولِ الفُـراقِ عَلَـى غَـيرِ انتِظَـار . سُبحانَهُ جَلَّ شَأْنُهُ ، إنَّهُ عَلَى كُلِّ شَىءٍ قَديرٌ .

مكتبة الطفل الزرقاء

للأطفال من السابعة إلى العاشرة

دار مصر للطباعة

مكتبة الطفل الزرقاء مفرد – محمد الابراشى
6 222010 903674
السعر ٦٠ قرشا